

من الأرشفة إلى الأرشفة: محاولة في الترجمة والتعريب

From Archives to Archive: Essay on Translation and Arabization

عبد القادر قاضي Abdelkader KADDI

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر

ka.kader20@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/12/31

تاريخ الاستلام: 2022/10/08

ملخص:

الأرشفة مفرد الأرشفة على منوال وثيقة مفرد الوثائق؛ جاءت هذه المفردة -أرشفة- كاقترح لغوي بديل ومقابل للكلمة (Archive) التي تأخذ مكانتها علميا ومعرفيا انطلاقا من أعمال مفكرين وفلاسفة ينتمون لتيار ما بعد الحداثة. هذه المفردة انتشرت وراجت عند أوساط لا تنتهي لعالم الأرشيفيين وأخصائيي ومهنيي الأرشفة غير أن لها انعكاسات كان لها الأثر الإيجابي على علم الأرشفة ومجاله المعرفي والممارساتي تلقفها وتبناها عالم الأرشفة.

انتشرت الأعمال التي تتناول هذه المفردة وما ترمي إليه وما تحمله في طياتها من زخم معرفي في العالم الأنجلو ساكسوني ولتنشر بعده في أنحاء العالم الغربي على وجه الخصوص. قد لا يكون هناك مشكل لغوي واصطلاحي بالنسبة للبيئة التي ظهرت فيها هذه الكلمة (Archive) كمفرد لـ (Archives) التي وإلى وقت ليس ببعيد لا تقبل المفرد إطلاقا حسب الأكاديميات اللغوية الغربية (الفرنسية والانجليزية خاصة).

هذه الحالة المستجدة في البحث العلمي بالعالم العربي المتمثلة في ظهور كلمة لها وزنها وثقلها الفكري والمعرفي وأمام غياب أي كلمة أو مفردة تقابلها باللغة العربية، جاءت هذه الورقة البحثية لتقترح مقابلا للكلمة (Archive) باللغة العربية في محاولة لترجمتها أو بالأحرى تعريبها تماما مثل ما قام به الأرشفيون العرب عندما تبناوا كلمة (Archives) وقاموا بتعريبها.

الكلمات المفتاحية: الأرشفة؛ الأرشفة؛ الأرشفة؛ علم الأرشفة؛ ما بعد الحداثة؛ البحث العلمي؛ الاصطلاح.

Abstract:

« Archive » singular of the word « archives » as a document is the singular of documents, this term (الأرشفة) is an alternative linguistic suggestion to the word « archive » which takes its place scientifically and cognitively on the basis of the works of post- modernists.

This term has found its full extent in circles that do not belong to the world of archivists and archival professionals, but it has had positive repercussions on archival science and its field of knowledge and practices that the world of archivists has adopted.

Books that deal with this vocabulary, what it aims at and what it entails as a surge of knowledge have spread in the Anglo-Saxon world at first, and later throughout the Western world in particular. There is perhaps no linguistic problem concerning the environment in which this word « archive » appeared as a singular for « archives », which until recently did not accept the singular at all according to the Western language academies (mainly French and English).

This new situation of scientific research in the Arab world represented by the appearance of a word which has an intellectual and semantic weight, and faced with the absence of any word or term which corresponds to it in the Arabic language, this article proposes an analogy to the word « archive" in the Arabic language in an attempt to translate it, or rather to Arabicize it, like what Arab archivists did with the word “archives” when they adopted and Arabicized it.

Keywords: Archive; Archives; Archivist; Archival science; Post-modernism; Scientific Research; Terminology.

1. مقدمة

تكتسي مسألة تعريب الاصطلاحات الأرشفية في الدول العربية مسألة بالغة الأهمية، ذلك أن محاولات الترجمة والتعريب التي يقوم بها المختصون العرب في مجال الأرشف لا تخلو من كونها محاولات فردية واجتهادات شخصية لما يرونه مهما بالنسبة لعملهم وممارساتهم وحتمية تعاملهم باللغة العربية، بالإضافة إلى أن حقل البحث في هذا الموضوع يفتقر إلى الدراسات الموضوعية والمعمقة.

هناك بعض المحاولات التي اهتمت بهذا الموضوع وطرحت إشكالات في الصميم كضرورة توحيد الاصطلاحات الأرشيفية والتعامل بها حتى يكون التعامل بمهنية واحترافية في البلدان العربية وتُمكن من التواصل بين الأرشيفيين والتحدث بلغة واحدة في مجال الأرشيف لكنها تبقى مجرد محاولات مشتتة وموزعة هنا وهناك في ظل غياب نظرة علمية مؤسسية على قواعد علمية صادرة عن مُجمّعات لغوية على غرار قطاعات حيوية أخرى كالطب والصيدلة والفلاحة وغيرها من المجالات.

2. إشكالية وأهداف البحث

من المعهود في اللغة الإنجليزية والفرنسية استعمال مفردة ومصطلح (Archives) في الجمع المؤنث تبعاً لطبيعة الممارسة الأرشيفية التي لا تقبل العمل على أساس الوثيقة الأرشيفية الواحدة والمنفردة بل على مجموع الوثائق التي لها علاقة ببعضها البعض والتي تتناول قضية وموضوع واحد، غير أنه ومع نهاية الستينات ظهر هذا المصطلح في المفرد (Archive) لينم عن مفاهيم عكست اتجاهات أخرى ورؤى جديدة ومتجددة في عالم الأرشيف. في الوقت الذي لم يجد الأرشيفيون واللغويون العرب مقابل لتلك الكلمة (Archives)، قام هؤلاء الخبراء بتعريفها حسب نطقها بحيث عرّبت حروفها كالتالي: (A) إلى (أ)، (R) إلى (ر)، (CH) إلى (ش)، (I) إلى (ي) و (VES) إلى (ف). وعند ظهور هذه الكلمة في المفرد كان لابد من انتهاج نفس الطريقة التي تم بها تجاوز هذه الإشكالية في التعريب وإيجاد مقابل متعارف عليه؛ وبالتالي إذا لم يكن هناك أي ترجمة لكلمة (Archives) وتم اقتراضها وتعريبها على هذا الأساس؛ كيف يمكننا فعل نفس الشيء بالنسبة للمفرد في محاولة محاكاة بعض الألفاظ القريبة منها كالوثائق جمع وثيقة؟

للبحث في هذا الطرح اللغوي وفهم مكنوناته كان من الضروري العودة إلى أمهات الكتب التي تناولت موضوع الوثائق الإدارية والرسومية التي نسميها بـ "الأرشيف" خلال الحضارة العربية والإسلامية ومحاولة إعطاء مقابل لها.

من الأهداف المرجوة من هذه المحاولة هي:

- اقتراح مفردة باللغة العربية لـ (Archive) التي تزخر بمفاهيم معرفية وفلسفية جديدة،
- تبسيط هذا المفهوم لمجتمع الأرشيفيين وكيفية الإفادة من طروحاته بالنسبة لممارساتهم واستعماله حسب مقتضيات،

- عرض أطروحات مفكري وفلاسفة الفكر ما بعد الحداثي (ميشال فوكو، جاك دريدا وبول ريكور) باعتبارهم أول من استعمل المفرد لكلمة الأرشيف من خلال هذه المفردة التي نقترحها ضمن هذه الورقة البحثية،

3. الوثائق والديوان: مصطلحات عربية مقابل مصطلح "الأرشيف"؟

لما توسعت الدولة الإسلامية واشتملت في وقت قصير على أغلب البلدان المجاورة واتسعت بذلك اهتمامات شؤون إدارة الدولة الآخذة في النمو بسرعة متناهية، كان لابد لهذه الإدارة من إرساء قواعد لتنظيمها وتسييرها وفق متطلبات ذلك التوسع والانفتاح واستحدث المسلمون آليات تنظيم الدولة إداريا متأثرين بما وجدوه عند الفرس والرومان وأضافوا عليها الكثير وأكثر ما استعملوه الدواوين.

عمل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تنظيم الدولة وفق هذا التوسع والتنوع في الشعوب والمجتمعات المختلفة التي دخلت الإسلام وضرورة تسييرها وفق التعاليم التي جاء بها الدين الحنيف؛ فكان من أهم ما قام به هو إعادة تقسيم البلاد إداريا وإنشاء الدواوين (ديوان الجند وديوان الخراج) وإرساء النظام القضائي الإسلامي وجعله مستقلا وتأسيس مجلس الشورى وإرساء نظام للتأريخ.

كان السبب الرئيسي الذي دفع بالخليفة الراشد في إنشاء الدواوين كثرة الأموال التي ترد على الخليفة وصُعُبَ إحصاؤها وعدّها وخشي نسيان أصحاب الأعطيات أو ازدواجها لشخص واحد ويتمثل دور هذه الدواوين (ديوان الجند والخراج) في الرقابة على الأموال العمومية من حيث توثيقها وإثباتها في السجلات وإعداد التقارير حول حركة دخول وخروج الأموال وضبطها (بن عاشور، 2005).

بقي الحال على ما هو عليه في عهد الخلفاء الراشدين، إلى أن قام بنو أمية بعد ذلك بتطوير تلك الدواوين وإضافة العديد منها مما يستجيب لمتطلبات العصر؛ فاستحدثت دواوين أخرى كديوان الخاتم وديوان الرسائل وفي عهدهم تم تعريب تلك الدواوين بعدما كانت تكتب بالفارسية في البلاد التي كان يحكمها الفرس وبالرومية في البلاد التي كانت تحت سلطة الروم وبالقبطية واليونانية في مصر. وفي العصر العباسي تطورت الإدارة بشكل أكبر فاستحدثت دواوين أخرى بسبب تشعب خدمات الدولة وتزايد عدد العاملين.

اختلف في أصل كلمة ديوان¹ ف قيل إنه عربي ومعناه الأصل الذي يرجع إليه ويعمل بما فيه، وقيل إن اللفظ فارسي معرب يعني: السجل أو دفتر وأطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذي فيه الديوان كما ذكره أبو العباس القلقشندي في صبح الأعشى وابن منظور في لسان العرب.

الديوان كما يعرفه الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية: "موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال" (الماوردي، 1989).

4. علم الأرشيف أو البحث عن مجال علمي

حاول الكثير من الأرشيفيين وعلى مر العصور فهم وإعطاء معنى لما يُعرف بالأرشيف، ليس هذا فحسب بل ولأن طبيعة الوثائق مهمة لعمل المؤسسات الرسمية خاصة التي كانت وراء إنتاجه، قامت الدول بتحديد مفهوم لهذا الموضوع الذي يُسمى الأرشيف من خلال القوانين والمراسيم.

يُعتبر الأرشيف نتاج حركة كل مجتمع منظم ومتطور؛ فكلما تطور المجتمع كلما كان نشاط الإنسان متعددا، متنوعا ومتشابكا. إن استعمال الإنسان الوثائق لتقييد الأفعال والأعمال وضمان متابعتها وتثبيت العلاقات مع الغير أدى إلى إنتاج الأرشيف بشكل أكثر ويتم الاحتفاظ به لحفظ الحقوق (Delmas, 2006, p. 15).

لقد وُجد الأرشيف منذ القدم بمعنى أن هناك وثائق مكتوبة حُفظت لأغراض الاستعمال وقام برعايتها وتسييرها أناس تكفلوا بها ماديا بحفظها ووقايتها وفكريا من حيث ترتيبها وجردها وهيئتها لطالبيها ومستعمليها. إن مهنة الأرشيف من المهن القديمة التي لم تتغير في جوهرها وتطورت عبر العصور والمجتمعات بقدر ما تطورت وتغيرت طبيعة الوثائق المحفوظة والمعلومات التي نبحث عنها. أصبحت مهنة الأرشيفي أكثر استقلالا عن مهن أخرى كانت تتطابق معها في الأصل كالموثق (Notaire)، المكتبي، الوثائقي.

شيئا فشيئا برزت قواعد مرتبطة بالممارسات الإدارية الخاصة بكل هيئة في كل بلد وابتداءً من القرن 17 للميلاد بدأ الأرشيفيون في كتابة أولى الكتب حول ممارساتهم المهنية حاولوا من خلالها إرساء بعض المبادئ العامة²، لكن تقنيات الأرشيف لم تأخذ مظهر علم قائم بذاته إلا بعد القرن التاسع عشر (Favier, 1993, p.19).

فمن الجانب المعرفي، تساءل الأخصائيون منذ سنوات حول طبيعة وهوية علم الأرشفة ومهام الأرشفيين ودورهم في الإدارات التي يعملون بها. يُعرّف علم الأرشفة على أنه: "العلم أو المجال الذي يدرس، يصف ويُفسر تركيبة ومهام الأجهزة التي أُكلت إليها المهمة ذات المنفعة الجماعية في حماية الوثائق. هو أيضا العلم أو المجال الذي يدرس، يصف ويُفسر سلوكيات الأشخاص والمجموعات التي تُساهم في عمل تلك الأجهزة أو الذين لهم تأثير عليها، هو كذلك العلم أو المجال الذي يدرس، يصف، يُفسر ويساعد على الترتيب والتصنيف" (Soufi, 2002).

عرف هذا العلم تغيرات كبيرة جاءت نتيجة الثورة الأرشفية³: تغيرات كمية وتغيرات نوعية كان لها الأثر البالغ في النقاشات الدائرة التي تدخل في صميم التفكير حول ما إذا كان الأرشفة علما قائما بذاته أم لا؟

جاءت التغيرات الكمية نتيجة الإنتاج الهائل للوثائق، فلقد أنتجت الإدارات والمؤسسات الاقتصادية والهيئات والمكاتب من كل نوع الوثائق الأرشفية بشكل كبير أكثر مما أُنتج في العصور السابقة؛ ذلك لأن العمل الإداري والتسيير الاقتصادي أصبحا أكثر تعقيدا ويتطلب المزيد من الإجراءات، التحقيقات، التحليلات والتي تُترجم من خلال إفراز للوثائق. من جهة أخرى، فإن تدخل الدولة المتزايد في الأنشطة العادية للمواطنين وفي الحياة الاقتصادية وحتى في الحياة الخاصة للمواطن ومجموعات المواطنين كان له الأثر البالغ في تكاثر الوثائق (تنظيم، مراسلات، مراقبة، الخ.) والتي تعكس كل واحدة منها مظهرا من تلك الأنشطة حتى أنه لم يعد هناك مظهرا من مظاهر الحياة يتم تنظيمه بصفة قانونية إلا وله انعكاس على الإنتاج الوثائقي. كما أن تطور تقنيات الاتصال عن بعد والاستنساخ أدى إلى مضاعفة إنتاج الوثائق نتيجة الممارسات المستمرة واستخدام تلك التقنيات أكثر فأكثر.

مما تقدم، يمكن استخلاص شيئين اثنين، هما:

- 1- أن ازدياد حجم الأرشفة بلغ في السنوات الأخيرة نسباً مذهلة تتطلب إيجاد حلول تستجيب لمواجهة هذا الكم الهائل من الأرشفة،
- 2- أن المجالات التقليدية المعهودة لم تعد في منأى عن التغيرات الحاصلة نتيجة التقنيات الحديثة والإجراءات المتجددة دوما (Duchain, 1973, p.14).

أما التغيرات النوعية فهي تلك التي تهتم بطبيعة الأرشفة ودراسة الأشكال المتجددة للوثائق نتيجة إدراج التقنيات الجديدة في العمل بالمكاتب لا سيما الإعلام الآلي وتقنيات السمعي

البصري. تتعدد اليوم أشكال الوثائق الأرشيفية ولم تعد تقتصر على الورق فبالإضافة إلى ذلك ظهرت الصور الفوتوغرافية، الأفلام، الأشرطة السمعية، الأشرطة السمعية البصرية والأشكال الإلكترونية (الرقمية).

كما نلمس هذه التغيرات النوعية على مستوى البحث إذ إن هذا الأخير اتخذ هو الآخر أشكالاً متجددة استعملت فيها التقنيات الحديثة وما الأبحاث عن الأنساب (Les recherches généalogiques) وانتشارها الواسع في أوساط المجتمعات الغربية على وجه الخصوص إلا مثالا واضحا على ذلك.

يمكن استخلاص التغيرات النوعية على مستويين، هما:

- 1- مستوى السند أو الحامل المادي وحتى اللامادي (شبكات الانترنت) مما يعتبر أشكالاً جديدة أبعادها الإنسان لتقييد وتسجيل المعلومات والمعارف.
- 2- مستوى متطلبات وضرورات البحث بصفة عامة والبحث التاريخي بصفة خاصة فبالإضافة إلى النظرة الجديدة للتاريخ هنالك رغبة وإلحاح المجتمع لإتاحة وتيسير اطلاعهم على تاريخهم.

إن هذه التغيرات في عالم الأرشيف كان لها الأثر البالغ في فتح نقاشات متعددة من طرف الأخصائيين والمؤسسات الأرشيفية الدولية في العديد من البلدان، هذه المناقشات مست على وجه الخصوص ضرورة إعادة النظر في مسائل أصبحت تُشكل فعلا عوائق أمام الممارسة السليمة لمهنة الأرشيف كمسألة مراقبة نشأة الوثائق، اختيار وانتقاء الوثائق التي تُحفظ بصفة دائمة، معايير موضوعية لتقييم عملية الإتلاف، معالجة الحجم الكبير للأرشيف، المشاكل التي تواجه إتاحة المعلومات التي يحتويها الأرشيف وغير ذلك من المسائل التي باتت تُؤرق الأرشيفيين وتشغل بالهم أكثر من أي وقت مضى والتي تُطرح بشكل مستمر ومتجدد كلما تجددت أساليب التعامل مع الوثائق.

كريستيان هوتان (Christian Hottin) في مقاله "مرافعة لأجل البحث في علم الأرشيف" إذ يرى عزوف الكثير من الأرشيفيين عن طرح أفكارهم حول مسائل معرفية تهم بالدرجة الأولى جوهر مهنتهم والمساهمة في دفع عجلة البحث العلمي في الأرشيف: يُرجع ذلك لتكوينهم في الأساس الذي لم يأخذ في الحسبان إشراك بعض المجالات من العلوم الإنسانية والاجتماعية وتوجيه عنايتهم على التاريخ فحسب، ويؤكد على ضرورة اهتمام الأرشيفيين وعلى وجه الخصوص أولئك

الذين ينتمون لمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي أن يتناولوا موضوع الأرشيف بالبحث على نفس منوال الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية (Hottin, 2007, p. 05).

أيضاً، أصبح علم الأرشيف أقرب بكثير من علوم المعلومات إذ لا بد من الحلول المرتبطة أساساً بتسيير المعلومات، كما لا يمكن أن ننفي أن علم الأرشيف يقترب أكثر من مجالات علمية مهمة كعلم الاجتماع، التاريخ وبخاصة كل ما يتعلق بالذاكرة والتراث وعلم الأعراق والأجناس (Ethnologie) والعلوم الإدارية.

كثير الحديث عن الأرشيف وما يطرحه من نقاشات تحاول الاستجابة إلى قضاياها ومشاكله على المستوى المعرفي والإدراكي لجوهره وعلى مستوى الممارسات وضرورة إيجاد الحلول للمشاكل التي وقف الأرشيفيون عاجزون عن حلها بالنظر إلى تكوينهم القائم على أسس تقليدية (Couture, Ducharme, & Rousseau, 1998).

أصبح من الضروري أن يحدد علم الأرشيف بشكل واضح المكانة العلمية التي يطمح للوصول إليها في عالم المعلومات التي أصبحت بحق ثروة طبيعية مطلوبة بشدة، وعليه أن يتخلص نهائياً من تبعيته ويُعزز استقلاليته عن المجالات العلمية التي خضع لها كالتاريخ وعلم المكتبات ثم بعد ذلك نسج علاقات مع العلوم القريبة منه⁴.

"إنه لن يتم الاعتراف بمنزلة ومكانة علم الأرشيف في المجتمع إلا إذا:

- 1- قام بهيكلية مناسبة لنشاطاته وتحديد مجال عمله،
- 2- التخلّص من الوصايات حتى يتسنى له الثقة في ذاته والتي تعتبر ضرورية لتطوره والابتعاد عن التقليد والتبعية،

- 3- أن يأخذ على عاتقه العمل على استقلاله الكامل حتى يصبح علماً قائماً بذاته،
- 4- أن يكون باستطاعته اختيار علاقاته بالعلوم الأخرى من نفس المستوى وأن يقف موقف الندد للنند"

« L'archivistique ne verra reconnaître sa place et son statut dans la société qu'à condition : qu'elle structure adéquatement ses activités et délimite son champ d'activité ; qu'elle se libère des tutelles pour atteindre un niveau de confiance en soi indispensable à la poursuite d'une évolution qui soit autre chose que du mimétisme ou de l'asservissement ; qu'elle prenne en charge sa complète autonomie pour devenir une véritable discipline ; qu'elle puisse faire un choix d'alliances d'égal à égal avec d'autres disciplines » (Couture, Ducharme, & Rousseau, 1998, p.57)

إن تحديد معنى "علم الأرشيف" لا يزال إلى يومنا يطرح مشكلة اصطلاح متفق عليه عالميا. فلقد جاء معنى (Archivistique) كما ورد في معجم المصطلحات الأرشيفية في صيغته العربية بأنه (فالن ، 1990):

"الدراسة النظرية والعملية للسياسة والإجراءات والمشاكل المتعلقة بإدارة الأرشيف"

وجاء أيضا بمعنى: "توجيه وتنظيم دار الأرشيف / الأرشيف وإدارته"

« *Discipline traitant des aspects théoriques et pratiques de la fonction « archives »* »

« *Administration et gestion des archives* »

إن هذا المعنى الذي يُفهم منه إدارة وتسيير الأرشيف معني عام لا يمكنه إدراج وتناول كل مسائل الأرشيف خاصة تلك المتجددة. مع أن المتأمل للكتب التي تدرس الأرشيف يلاحظ اهتمام كل واحد منها بثلاثة مجالات هي التي تؤسس لعلم الأرشيف الحديث. هذه المجالات هي (Duchain, 1993):

- المجال النظري العلمي الذي يتناول الأرشيف بصفة عامة وبعض أنواع الأرشيف الخاصة نظرا لطبيعته أو طبيعة المؤسسات التي تُنتجها كالثائق السمعية البصرية، الوثائق المصورة، أرشيف المستشفيات، أرشيف المؤسسات الاقتصادية وغير ذلك؛ إذ كل واحدة منها لها قواعدها الخاصة للترتيب والوصف والحفظ. في هذا الصدد يكون الاهتمام بالمبادئ والقواعد الأرشيفية على نفس مستوى الاهتمام بالنصوص التشريعية والتنظيمية التي تؤسس قانونا للممارسة المحترفة،

- أما المجال الثاني فهو المجال التقني الذي يتعلق بالحفظ المادي للوثائق، بناء وتجهيز محلات الأرشيف، استخدام التكنولوجيات الحديثة كالاستنساخ والإعلام الآلي وتقنيات الإصلاح والترميم وغير ذلك من التقنيات. هذا المجال هو الأكثر تداولاً وتقاسماً على المستوى العالمي،

- أما المجال الأخير المتمثل في التسيير فهو يختلف من بلد لآخر من حيث التنظيم الإداري وعمل مصالحي الأرشيف (Duchain, 1993, p. 25).

إن علم الأرشيف على الرغم من كل محاولات التفكير العلمي النظري على المستوى الدولي والمربطة حتما بالواقع الإداري والقانوني لكل بلد، لا يزال يبحث عن موضوعه والإجابة عن التساؤل التالي: "هل الأرشيف علم أم أنه مجرد تقنية؟"

هذا الذي أدركه كريستيان هوتان بقوله: "إن مشروع علم الأرشيف لا ينطلق من تعريف مسبق للأرشيف: إنه وعلى العكس يهتم بدراسة وشرح ومقارنة المقاربات الخاصة الفردية والجماعية، وبالتوازي القيام بعمل تفكيك للتعريف القانوني" (Hottin, 2007, p. 06).

« *Le projet de l'archivistique n'est plus, dès lors, de partir d'une définition préétablie des archives : il s'agit au contraire d'étudier, d'explicitier, de comparer les approches particulières, individuelles ou collectives des archives, et, simultanément, d'opérer un travail de déconstruction de la définition légale...* »

لعل البحث في النقاط الموالية يساعدنا على فهم الكثير من الجوانب التي تجعل من الأرشيف مادة تثير الكثير من النقاش وإبداء الرأي والرأي المخالف وحتى تكون لها مكانة من بين العلوم الإنسانية.

5. من الأرشيف (Les Archives) إلى الأرشيفية⁵ (L'Archive)

كلمة "أرشيف" موجودة منذ وجود وثائق مكتوبة محفوظة لأغراض الاستعمال كدليل وبرهان للتعاملات بين البشر وذلك من حوالي ثلاثة آلاف من السنين ومنذ ذلك الوقت هناك أشخاص يقومون بتسييره إما على المستوى المادي من حيث حفظه أو على المستوى الفكري من حيث ترتيبه وتنظيمه وجرده ووضعه تحت تصرف مستعمليه.

كلمة الأرشيف (Archives) تبدو في ظاهرها كلمة بسيطة غير أنها ليست كذلك إذ لم يتم الإجماع على معناها الحقيقي ما لم يتم التوافق حول اصطلاح يلي ما يصبو إليه مجتمع الأرشيفيين. ومما زادها تعقيدا هو تلك الرؤى الفكرية الفلسفية، النفسية والاجتماعية التي ركزت على ما وراء الكلمة من معاني ومفاهيم يمكن استنباطها.

يتفق جمهور الأرشيفيون واللغويون على العموم على أن استعمال كلمة أرشيف (Archives) حسب القواميس والمعاجم الفرنسية والإنجليزية خاصة تأتي بصيغة الجمع المؤنث. على أن تناولها في المفرد يُعتبر طارئا جديدا وأن مفرد الكلمة (Archive) لم يأخذ في الاستعمال إلا حديثا وليست صادرة عن الأرشيفيين أو أولئك المهتمين به كرجال القانون والإداريين أو المؤرخين لما لهؤلاء من ميل وارتباط وثيق بعالم الأرشيف.

"إنه وفي الوقت الذي يستعمل فيه جمهور الأرشيفيون الإنجليز والفرنسيون كلمة الأرشيف في الجمع فإن العلماء (من خارج مهنة الأرشيف) يستعملون الكلمة في المفرد (Archive)".

« Là où la plupart des archivistes anglais et français emploient le mot « archives » au pluriel, les scientifiques (en dehors de la profession des archivistes), se sont mis à employer le singulier : l'archive » (Ketelaar, 2006).

من المعهود أن كلمة "أرشيف" (Archives) تُستخدم منذ القدم وإلى وقتنا الراهن لتدل من ضمن ما تدل عليه مجموع الوثائق أو المكان الذي توضع فيه الوثائق. إن استعمال كلمة الأرشيف في صيغة المفرد (L'archive) يعتبر مستحدثا (Néologisme) كمفهوم له دلالاته الخاصة لدى الفلاسفة وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع والمهتمين بالثقافة والأدب من مفكري تيار ما بعد الحداثة الذي ظهر في المجتمع الغربي وعلى رأسهم ميشيل فوكو⁷ الذي يعتبر أول من أدرج هذا المفهوم وبهذه الصفة من خلال كتابه "حفريات أو أركيولوجيا المعرفة" الذي صدر سنة 1969 وفرضت الكلمة نفسها شيئا فشيئا وأصبح استعمالها يأخذ في الرواج في مجالات عديدة قد لا تمثل عالم الأرشيف المعهود والذي نعرفه.

إن مقاربات الفلاسفة والأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع والأدب حول الأرشيف وما وراءه من مفاهيم معقدة قد تزيد من ثقل كاهل الأرشيف الذي يبحث له عن مجال للتفكير في مشاكله ومنهجه ومصطلحاته وإن الأرشيفيين اليوم مدعويين أكثر من أي وقت مضى الخروج من هذا النفق وتوضيح معالم علم للأرشيف قائم بذاته وإرساء مناهجه والاستفادة مما قد تأتي به العلوم التي تتناوله ليس من باب المهنة والممارسة؛ لكن من باب تفكير فلسفي فيما وراء الكلمة والبحث في أصلها والمعنى الذي جاءت به أول مرة.

إن استطلاع معظم ما كُتب حول مفهوم الأرشيف من قبل مفكري ما بعد الحداثة (Post-modernisme) من أمثال ميشيل فوكو (Michel Foucault) ومفاهيمه المعرفية وجاك دريدا (Jacques Derrida) انطلاقا من أعماله حول ما طرحه فرويد (Freud) النفسي من نظريات هي محل انتقاد، أيضا وبوجه خاص بول ريكور (Paul Ricoeur) وما تميزت به أعماله في هذا المجال، بالإضافة إلى ما ذهبت إليه المؤرخة أرليت فارج في كتابها (Le Goût de l'archive) أفرز زخما كبيرا من الرؤى والمقاربات؛ لقد تبين أن هؤلاء تناولوا الأرشيف من خلال دراساتهم للنص (Texte) وللكتابة (Ecriture) وللخطابات (Discours) واللغة (Langue et linguistique) والتحليل النفسي (Psychoanalyse) وذلك من منظور فلسفي وعلاقة ذلك بالمنظومة النفسية للإنسان والمنظور المعرفي وبناء الخطابات. قد يكون ذلك من وراء ما يعرفه الأرشيفيون أنفسهم

عن الأرشيف كما عهدوه في السابق؛ ما يُفهم منه على أن "الأرشيف" (L'archive) تم تناولها من زوايا علمية ومعرفية مختلفة.

أثرت ما بعد الحداثة في الفكر الغربي وأفرزت مقاربات وتيارات ومذاهب علمية كان لها الأثر في بلورت العديد من المسائل منها كما هو الحال بالنسبة للأرشيف. إن التعرض لفكر ما بعد الحداثة يُعد ضروريا لفهم الإطار الذي برزت فيه "الأرشيف" والمرجعية المعرفية لذلك وآثارها على نواحي أخرى مما له علاقة بالأرشيف كالذاكرة والتراث والأثر.

إن تناول "الأرشيف" جاء كاستعارة عن المنظومة النفسية عند الإنسان الذي يُقدّم على أنه آلة للأرشفة تحفظ الانطباعات وبالتالي فإنها تؤسس وتُرسّم ذاكرة ما حدث للإنسان من خلال فرزهِ بوعي أو بدون وعي لما يمكن أن يُحتفظ به وما يمكن أن تعتبر آثارا تُحفظ أكثر مدة ممكنة في مكان ما وما يمكن استبعاده. هذا التطلع سيسمح لنا باعتبار "الأرشيف" على أنها الذاكرة، الأثر، البصمة والعلامة (Klein, 2014).

6. استعمال مفردات الأرشيف و"الأرشيف" في المعاجم الفرنسية

استعملت كلمة الأرشيف في المفرد في لغات أجنبية غير الفرنسية والإنجليزية؛ ففي اللغة الإيطالية استعملت (Archivio) وفي اللغة الإسبانية (Archivo) وفي اللغة الألمانية (Archiv). ولم تجد الكلمة قبولا على الأقل في بداية الأمر لدى الأرشيفيين الفرنسيين ويرون فيها جهلا بطبيعة الأرشيف وحقيقته وجرأة غير محمودة كما جاء ذلك على لسان أحد أعمدة الفكر الأرشيفي الفرنسي ميشال دي شان (Michel Duchein) حيث صرح قائلا: "في الفرنسية مفرد "الأرشيف" مستحدث وأن استخدامه في 1993 يُعد جرأة سيئة. قد يتم تعميم الكلمة في المستقبل؟ فنقول إذا "أرشيف" لنعت وثيقة أرشيفية أو رصيد أرشيفي، لكنها ليست كذلك في الوقت الراهن في الفرنسية الرسمية".

« En français, le singulier « archive » est un néologisme dont l'usage est encore, en 1993, passablement prétentieux. Peut-être se généralisera-t-il à l'avenir ? On pourra dire, alors « une archive » pour désigner un document d'archives ou un fonds d'archives. Ce qui n'est pas le cas actuellement en français officiel. » (Duchein, 1993, p. 22)

من جهتها اعتبرت فرانسواز هيلدشيمر (Françoise Hildsheimer) محافظة بالأرشيف الوطني الفرنسي ولها عدة إسهامات وكتابات في مجال الأرشيف أن مفرد كلمة أرشيف إنما هو مشكل صياغة أو هجاء مرتبط مباشرة بتعريف الأرشيف.

« *Problème orthographique non pas secondaire mais directement lié à la définition des archives* » (Hildsheimer, 1997).

أمام هذا الرفض، هناك من غير الأرشيبيين من يرى في ذلك أنه رفض غير مبرر للكلمة المستحدثة هذه.

« *Archive tout court, au singulier : dissonant aux oreilles puristes, cet emploi signale une autre lecture* » (Aymes, 2004, p. 69)

لئن كان الاستعمال الحالي لكلمة "أرشيف" عند الفرنسيين والإنجليز لا يكون إلا في الجمع فلقد استعمل المفرد المذكر للكلمة في فترات سابقة خاصة في اللغة الفرنسية كما اتضح من خلال تتبع المعاجم اللغوية القديمة وقلة من المعاجم الحديثة؛ يصر أصحاب معجم الأكاديمية الفرنسية⁶ على اعتماد كلمة أرشيف في الجمع المؤنث. وعلى نهجها تُدرج المعاجم الفرنسية الأخرى الكلمة في الجمع كما تَأَكَّد ذلك في معجم بورداس (Bordas) "أبداً لن تكون الكلمة في المفرد" (Jamais au singulier). نفس الشيء بالنسبة لقاموس روبرت (Robert) لسنة 1979 "ما من مفرد في الاستعمال الجاري للكلمة (يعني الأرشييف)" (Pas de singulier dans l'usage) (courant)، في الوقت الذي يشير معجم لاروس (Larousse) إلى "الأرشييف" (Archive) في المفرد ابتداءً من سنة 1982 (Patrice, 2013).

ورد مفرد كلمة الأرشييف في اللغة الفرنسية وتبين أنه تم استعمالها في فترات زمنية سابقة؛ فاللغة الفرنسية ما قبل الكلاسيكية استعملت الجمع المؤنث للكلمة عقب استعمال المفرد المذكر إلى غاية القرن 17 بفعل تأثير اللاتينية. وفي 1787 أشار فيرو (Féraud) أن الأرشييف (Archives) ليس لها مفرد ويذكر بأن مفرد الأرشييف كان موجوداً في السابق.

في نهاية القرن 18 أدرج لاکرن (Lacurne de Sainte-Palaye) في معجمه (Glossaire de "Archif" وأنها تأتي في المفرد المؤنث أو المذكر ويؤكد بعدها بأن الكلمة لم تعد تستعمل إلا في الجمع المؤنث (Marcilloux, 2013, p. 30).

مما تقدم، يتضح أن كلمة أرشييف في المفرد المذكر أو المؤنث شاع استعمالها قبل القرن الخامس عشر لتعني الوثائق أو مكان حفظ تلك الوثائق وأن المعاجم تعرضت لذلك، على أن هناك اتفاقاً واصطلاحاً جاء في مرحلة تالية يقضي بأن "أرشييف" (Archives) كلمة لا تكون إلا في الجمع المؤنث وما ظهورها في الاستعمال مرة أخرى كمفرد إلا تكريساً لمعاني متعددة ليست بالضرورة تخص عالم الأرشييف والوثائق ولا نقول بأنها كلمة محدثة (Néologisme) بل كلمة

بُعِثت من جديد على لسان ميشيل فوكو أولا وكرسها جاك دريدا وبول ريكور ليتسع نطاق استعمالها في الوقت الراهن.

7. الاصطلاح الأرشيفي في العالم العربي

عانى الاصطلاح الأرشيفي في العالم العربي على غرار مجالات أخرى ولا زال يعاني من افتقار إلى دراسات وبحوث وتوافق تام حول اصطلاحات ومفاهيم الأرشيف ولعل عدم اكتراث الأرشيفيين العرب وقلة اهتمامهم بهذا الإشكال سببه عدم وجود مؤسسة رسمية ومهنية تتكفل بذلك بل تبقى الجهود المبعثرة هنا وهناك حول هذه القضية من دون فائدة تُرجى سوى ربما بعض الأدبيات القليلة التي قد تساعد نوعا ما الباحث حول هذا الموضوع.

من الواضح أن الاصطلاح مهم في تعامل أهل الاختصاص لنقل العلوم وتداول الخبرات والثقافات بشكل عام وكانت الترجمة أهم وسيط استخدم لأجل ذلك خاصة عندما لا تتوفر في اللغة المترجم إليها مصادر وافية في المجال الذي يُترجم إليه كما هو الحال بالنسبة للأرشيف. من المؤكد أن المفاهيم التي يتم نقلها أو ترجمتها تحتاج إلى دقة وعناية للتعبير عنها في اللغة المترجم إليها وبطبيعة الحال وضع اصطلاحات دقيقة يعتمد عليها في تحديد الأفكار والمعلومات. كان هذا هو الهاجس الذي استدعى ضرورة إيجاد ترجمة ومقابل للكلمة المفتاحية في هذه الدراسة والمتمثلة في (archive) لما لها من مدلول ومعنى قد يكون مغايرا لما عهدناه عند الأرشيفيين. هذا المصطلح استعمله مفكرين وفلاسفة ليست لهم أية صلة بالممارسات الأرشيفية والبحث في مجال الأرشيف غير أن انعكاسات رؤاهم تلك كان لها وقعها الخاص على عمل الأرشيفيين وضرورة الاهتمام بما جاء به هؤلاء الفلاسفة والمفكرين من أن مدلول (Archive) ليس تلك الوثائق التي تحتفظ بها كل أمة وتهتم بتسييرها وطرائق حمايتها كما سبق تناوُل ذلك بل أعطت هذه الكلمة مدلولاً عن الآثار (Traces) التي تتركها المجتمعات وما تمثله من بصمات هي في الواقع ذاكرة (Mémoire) تعين على الاحتفاظ بهوية تلك المجتمعات وتساعد على استشعار كيانها وخصوصياتها الحضارية والثقافية.

مما لا شك فيه أن المصطلحات عبارة عن رموز لغوية تدل على مفاهيم أو أشياء ذات خصوصية محددة كما هو الحال بالنسبة لما يعترضنا من عدم وجود مصطلح لذلك، سواء على المستوى الوطني أو على مستوى العالم العربي. أمام هذا الفقر الاصطلاحي العربي في مجال الأرشيف تبقى الدعوة مفتوحة إلى ضرورة توحيد المصطلحات وأن يتم وضع مصطلح فريد

للمفهوم العلمي الواحد لتفادي الترادف والاشتراك اللفظي وكل ما يؤدي إلى الغموض أو الالتباس بين اللفظ والمدلول.

لقد تناولت العديد من الدراسات والملتقيات إشكالية المصطلح في العالم العربي وحاولت الإجابة عن سؤال جوهري يتمثل في: قدرة ومواكبة المصطلح العربي للتقدم العلمي والتكنولوجي ومستحدثات العصر بصفة عامة؟ وهل هناك أزمة اصطلاح في العالم العربي تمنع من تلقي المعرفة ونشرها؟ لا شك أن الإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة التي تهم مسألة المصطلح والاصطلاح ليست بالسهلة بل قد يتعدى الأمر إلى القول بأن العرب لم يؤسسوا فكرا مصطلحيا يقوم على التنظير وضبط الأسس المعرفية والفلسفية لعلم المصطلح بل عرفوا تفكيراً في المصطلح بسبب الحاجة الملحة إليه في عصرهم الذي نشأت فيه عدة علوم استدعت وضع مصطلحات مناسبة لها في التصنيف والاستعمال (الميساوي، 2013). وما نحن بصدد من افتقار إلى مصطلحات عربية في مجال الأرشفة إلا نموذجاً عن هذه الأزمة التي يعاني منها العالم العربي في مجال العلوم والمعرفة.

على عكس الأرشفة عرفت مصطلحات المكتبات والمعلومات تطوراً وازدهرت في القرن العشرين ورافق هذا التطور نشر العديد من الكتب والمراجع والدوريات وظهرت أنظمة وأدوات عمل لا يمكن الاستغناء عنها في تنظيم المكتبات ومراكز المعلومات الحديثة المختلفة (السويدان، 1992).

إن هذا الوضع الذي نحن بصدد في هذه الدراسة وفي ظل غياب هيئة رسمية على المستوى الحكومي (مجمع لغوي أو فريق عمل رسمي) أو غير الحكومي (جمعيات محترفة أو هيئات دولية) يمكن أن يؤدي إلى بعض السلبيات منها على سبيل المثال تداخل المصطلحات التي قد يستعملها هذا الباحث أو ذاك، كما أن هذا الوضع من عدم الاتفاق على تعريب المصطلحات يجعل الأرشفيين العرب لا يتكلمون لغة واحدة يفهمها ويستخدمها الجميع ويشجع المحاولات الفردية التي لا تحاول الاستفادة مما جاء به الآخرين والاستمرار في هذا الاتجاه يجعلنا نكرر أنفسنا ونتقدم ببطء في هذا المجال وهو ما يوحى بالنقص الاصطلاحي العربي الفادح في الأرشفة. إن تجربة تعريب قاموس المصطلحات الأرشفية للمجلس الدولي للأرشفة التي قام بها الفرع الإقليمي العربي لذات المجلس تعد مهمة في هذا الباب غير أن ترجمته لكلمة (Archive) أبقته في المقابل كما هي عندما وردت في الجمع (أرشفة) مقابل (Archives) على أن (Archive) في هذا القاموس تعني شيئين اثنين كما جاء معناها في اللغة الانجليزية اللغة الأولى للقاموس وفي

اللغة الفرنسية كلغة ثانية للقاموس: الأول يعني "الأرشيف الذي ينشأ من منشأ واحد. انظر الوحدة الأرشيفية المتكاملة. المعنى الثاني للكلمة الذي جاء به القاموس: "وثيقة تشكل جزءا من الأرشيف: أنظر أيضا: الوثائق" (بيتر، 1990، ص. 23). فهو بذلك يستعمل كلمة (Archive) كأنها "القطعة" (Pièce) أو الوثيقة المنفردة وهي لا تؤدي المعنى الذي نريده من هذا الاستعمال الجديد للكلمة في المفرد.

8. الأرشيف في اللغة العربية: مسألة اقتراض

يتفق الجميع على أن كلمة "الأرشيف" كلمة دخيلة على اللغة العربية⁸ واقتراضها تم وفق ما تقتضيه الضرورة وأن الاحتكاك الحضاري يفرض حكمه على الجميع كما تناول ذلك سالم عبود الألوسي في كتابه عن الأرشيف⁹ وبحثه اللغوي لكلمة الأرشيف وفق المنهج اللغوي للعرب وتوقفه عند لفظة الأرشفة كمصدر على وزن فعلة متسائلا: لماذا لا نستعملها في لغتنا العربية ما دمنا أجزنا استعمال العديد من الكلمات الأجنبية الحضارية، إن الألوسي مع عدم ميوله إلى تحبيذ استخدام الألفاظ الأجنبية يؤكد قائلا: "فبالرغم من أن لغتنا العربية تزخر بالمفردات والمعاني، نجد أنفسنا مضطرين إلى التماس العذر في جواز استعمال كلمة (الأرشيف) باعتبارها كلمة من الكلمات الحضارية الحديثة... التي لم نجد لها بديلا بين المفردات والألفاظ العربية فأثرنا استعمالها".

إن استعمال كلمة (أرشيف) الدخيلة على اللغة العربية نتيجة الاقتراض اللفظي يرجع إلى الأسباب التالية حسب الألوسي (الألوسي، 1979، ص. 7):

- 1- لملها من شمول وشيوع على النطاق العالمي،
- 2- لدلالاتها الاصطلاحية واللغوية الدقيقة المعبّرة،
- 3- لكوننا دخلنا مضمار الدراسات الأرشيفية متأخرين جدا عن بقية الدول المتقدمة في ذلك،
- 4- إن معظم المصادر والمراجع التي تتناول هذا العلم الحديث مكتوبة ومُدَوّنة باللغات العالمية كالفرنسية والإنجليزية وغيرها وما كُتِب بلغتنا العربية يكاد يكون نادرا.

يضيف في النهاية قائلا: "لهذا ترانا مضطرين لاستعمال هذه الكلمة لنلحق بالركب ولنعوض ما فاتنا في الماضي" (الألوسي، 1979، ص. 7).

تعد محاولة تأصيل كلمة "أرشيف" لغويا جهدا فريدا من نوعه قام به الألوسي إذ قام بإسقاط قواعد اللغة العربية على الكلمة واستعماله المنهج اللغوي للعرب فكانت وكأنها عربية فاشتق الأفعال الثلاثة: أرشَفَ في الماضي، ويُؤرشفُ في المضارع وأُرشفَ في الأمر والاستقبال

وعندها يقول: "يمكن أن نعوّدها فعلا رباعيا مجردا يخضع لقاعدة تصريف الفعل الرباعي المجرد في العربية" كما يمكن حسبه اشتقاق اسم الفاعل وهو مُؤرِّشَفٌ للدلالة على من يتولى العمل في الأرشيف وهو ما يقابل كلمة (Archiviste) واسم المفعول مُؤرِّشَفٌ (الألوسي، 2002، ص. 148). على أن البحث والتنقيب في هذا المجال قائم لإيجاد الكلمات التي تؤدي المعنى الحقيقي لمدلولاتها باللغة العربية.

9. أزمة تعريب المصطلحات الأرشيفية

تم التنويه سابقا إلى أن هناك أزمة اصطلاح في عالم الأرشيف عند العرب بدءا بالكلمة نفسها التي يقر الجميع بأنها كلمة دخيلة على اللغة العربية ولم يتم العثور على مقابل لها وكل ما أفرزه هذا المصطلح وعلق به.

وعيا بهذا القصور اللغوي، قام الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف بنشر الصيغة العربية لقاموس المصطلحات الأرشيفية في عام 1995 (البنوري، 1995) بعد الصيغة الأولى التي صدرت عن المجلس الدولي للأرشيف في سنة 1990 (سنو، 1990). يحتوي القاموس على (314) مصطلح باللغة الإنجليزية وما يقابلها باللغتين العربية والفرنسية مع ملاحظات تفسيرية باللغة العربية فقط.

كما أن هناك بعض الجهود على سبيل المثال لا الحصر والرامية إلى ترجمة بعض المفاهيم والمصطلحات الأرشيفية إلى اللغة العربية كالجهود الذي قام به أحد أعمدة الأرشيف في الوطن العربي بصفة رسمية عندما أوكل إليه المجلس الدولي للأرشيف ترجمة وتعريب دراستين للمجلس¹⁰؛

الأولى حول: "الوثائق الإلكترونية، مرشد الأرشيفيين" في أبريل 2005، ضمّتها في البداية بملاحظاته التي احتوت ترجمة الكثير من المصطلحات التي ترددت في الدراسة.

الثانية حول: "المبادئ التوجيهية للوقاية من الكوارث ومراقبتها" في فبراير 2008؛

جهد آخر للترجمة إلى العربية ما قام به الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف المتمثل في ترجمة وتعريب المعيار الدولي العام للوصف الأرشيفي (ISAD/G) من نشر مركز المعلومات القومي بدمشق في 1998.

كما أن هناك جهودا ذاتية للتعريب يقوم بها بعض أخصائي الأرشيف العرب كالمعمل الذي قامت به الدكتورة سلوى علي ميلاد من جامعة القاهرة بتأليفها قاموسا حول المصطلحات الوثائقية والأرشيفية (علي ميلاد، 1982) مبرزة في مقدمة القاموس أهمية هذا العمل بقولها: "ولما

كان احتياج العلم -في مهده- شديدا للتعريف به والتعرف عليه، ولما كان للتعريف والتعرف سبله المتعددة، فإن أولى وأهم سبل ذلك، هو التعريف والتعرف على مصطلحات العلم" مبرزة بأن الموضوع لم يطرق من قبل باللغة العربية¹¹ وأنه جاء تلبية لحاجات المتخصصين في الوثائق والأرشيف لقاموس يُعرّف بمصطلحات العلم ويوضح المعنى العلمي للمصطلح وما التبس منه على البعض في اللغة العربية مؤكدة أن هذا اللبس يحدث غالبا بالنسبة للعلوم التي تدخل العربية حديثا ولعلنا نعرف بعض هذه الاختلافات إلى يومنا الراهن. كما تضيف صاحبة القاموس إلى ضرورة استقرار المصطلحات العربية لعلوم الوثائق والأرشيف ويتم الاتفاق على مصطلحات واحدة.

لا يزال هذا الانشغال الذي طرحته الدكتورة سلوى ميلاد قائما إلى يومنا هذا والدعوة إلى تجسيد بذل جهود التعريب والبحث عن اتفاق حول المصطلحات الأرشيفية واستقرارها لا يزال قائما ومتجددا. في هذا الصدد ندرج ملاحظات ومعارضة أحد الأرشيفيين العرب في مقال له (Sellal, 2007) صادر باللغة الفرنسية حول بعض المصطلحات المترجمة إلى اللغة العربية كمصطلح (Authenticité) التي تعني حسبه الأصالة وليست المصادقية كما ذهب إليه الأرشيفيون في دولة عربية أخرى وأن هذا المصطلح "المصادقية" يقابلها باللغة الفرنسية كلمة (Crédibilité). كذلك الحال بالنسبة لمصطلح (Intégrité) الذي يقابله في اللغة العربية كلمة "السلامة" وليست كلمة الدقة كما يترجمها الأرشيفيون في بلد عربي آخر والتي يقابلها بالفرنسية كلمة (Précision).

هذا النوع من الاختلاف على إيجابيته يوحي أن تعريب المصطلحات يصطدم بالكثير من العقبات الناتجة عن رصيد كل فرد أو دولة من اللغة ومقدار تحكمه فيها ولا يُحلّ إلا من خلال هيئات رسمية عربية كالفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف أو المُجمّعات اللغوية أو في إطار جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مكتب تنسيق التعريب¹² والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر¹³).

جهد آخر متمثل في محاولة لترجمة مفهوم جديد في الأرشيف ألا وهو (Records Management) لأن كانت ترجمة هذا المفهوم قد أشكلت على الفرنسيين (Le Blanc, 2010) أنفسهم فما قول الناطقين باللغة العربية ولم يُسجل أي جهد لأجل إعطاء ترجمة ملائمة لهذا المفهوم اللهم إلا ما أثير من نقاش حول مصطلح السجلات (بوحراث، 2010) والبحث اللغوي والاصطلاحي الذي أجري حولها - السجلات- ويُن أن لها معنيين:

المعنى الأول؛ أنها تعني الوثيقة الرسمية التي تُستخدم كدليل أو إثبات لعملية أو إجراء إداري ما،

المعنى الثاني؛ أنها تعني الكراسات الرسمية التي تُستخدم في تقييد أو بالأحرى تسجيل النشاطات أو المشاكل أو الأعمال أو الأشخاص أو غير ذلك ليكون بمثابة المرجع الرسمي للمتابعة والإثبات.

بين هذا المعنى وذاك يُفضل صاحب المناقشة ويميل إلى القول الأول الذي حسب رأيه يتفق مع المفهوم الإنجليزي للسجل الذي يأتي كوسيلة إثبات ودلالة.

كما أن هناك جهداً آخر تَمَثَّل في محاولة لترجمة قائمة محتويات المعيار الدولي لوصف الجهات المعنية بحفظ المقتنيات الأرشيفية (ISDIAH: International Standard for Describing Institutions with Archival Holdings) على أن ترجمة المعيار أو المواصفة كاملة لم تصدر بعد بصفة رسمية¹⁴.

10. لماذا كلمة "الأرشيف" (L'archive)؟

طرح تعريب كلمة (Archive) التي جاءت عند مفكري وفلاسفة الفكر ما بعد الحداثي ورواجها تبعاً لذلك، مشكلة تعريبها حرفياً مثلما تم ذلك مع نفس المصطلح عندما جاء بصيغة الجمع المؤنث المعهود في هذه الكلمة وأن تعريب (Archives) تم حرفياً حسب نطقها (أرشيف) فهي إذا جاءت للتعبير عن أصل الكلمة كما هي في صيغة الجمع. لكن هل من الممكن أن نستعمل نفس الكلمة باللغة العربية للتعبير عن مفرد تلك الكلمة؟

إن المسؤولية التي تستوجبها مسألة تعريب كلمة ما لأول مرة يحتم الاحتياط التام، ذلك أن "الإدراك الصحيح لمعنى مصطلح ما، ربما يكون سبباً في اكتشاف حقيقة مغيبة أو العثور على سبق خطير في ذلك العلم وبالمقابل فإن إدراكاً سيئاً لما يعنيه مصطلح معين، من شأنه أن يضيع على الباحث فكرة مهمة من أفكار النص، فالمصطلحات إذن تشبه هنا مفاتيح العلوم" (قوميد، 2011).

لم يكن من السهل البحث عن كلمة تدل على ذلك أي (Archive) وكان لا بد من اللجوء مرة أخرى إلى الاجتهاد في إيجاد كلمة تعبر عن ذلك من دون الخروج عن أصلها اللغوي؛ قد يكون من السهل استعمال كلمة "أرشيف" للتعبير عن مفرداتها في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية في مجالات أخرى ليست بالضرورة من مجال الأرشيف¹⁵.

تبين من خلال معارضة الأرشيبيين الفرنسيين على غرار ميشال ديشان وفرنسواز هيلدشيمر إدراج هذه الكلمة في الاصطلاح الأرشيبي وأن المفرد ينم عن جهل بطبيعة الأرشييف والوثائق الأرشييفية على أن احتمال استعمال هذا المفهوم في المستقبل وارد بالتأكيد كما أكدّه ميشال ديشان.

عند الشروع بالإلمام بالموضوع أدركنا أن كلمة (Archive) لم يتم تناولها في أية دراسة كانت باللغة العربية وعدم ورودها بأي من المعاجم العربية لا العامة ولا المتخصصة وعند التأكد من أن للكلمة وزنها في هذا البحث لم يكن هناك من بد سوى التنقيب عن مقابل لها باللغة العربية وكان من الضروري استشارة الأرشيبيين العرب الخبراء ومراسلتهم حول هذه المشكلة.

يشكل فريق الخبراء¹⁶ الذين تمت مراسلتهم مهنيين محترفين وباحثين جامعيين في نفس الوقت ولهم إسهامات فكرية في مجال الأرشييف ولديهم تجارب ترجمة إن على المستوى الرسمي في إطار المجلس الدولي للأرشييف أو على مستوى ممارساتهم في الجزائر وفي البلاد العربية ومهم من تولى مهام التدريس بالجامعة على غرار الأستاذ عبد الكريم بجاجة¹⁷.

لم يعارض الأستاذ عبد الكريم بجاجة استعمال ما تم اقتراحه من تعريب للكلمة (Archive) دون الخروج عن أصلها اللغوي وقال بأنه وأمام ضرورة استعمال مفرد الكلمة وأمام غياب دراسات أو أدبيات حول الموضوع يبقى الاجتهاد هو الملاذ الأخير ولم يرى مانعا من استعمال كلمة "الأرشييفة" مقابل (Archive).

من جهته، أجاب الأستاذ صوفي فؤاد عن ذات السؤال وهو ممن يُشهد لهم أيضا بطول ممارسته في الأرشييف وإسهاماته العلمية العميقة في هذا التخصص وبأن ضرورة استشارته في هذا المجال مهمة للغاية لهذه الدراسة¹⁸. كما أن إسهاماته الفكرية في مجال الأرشييف جعلت منه مرجعا لا يمكن تجاوزه بأية حال من الأحوال، ومما لفت انتباهنا أثناء إعداد هذا البحث واعتمادنا على أحد مقالاته باللغة الفرنسية (Soufi, 2001)؛ هو استعماله لمفرد الكلمة سنة 1997 في مساهمة له بعنوان "الأرشييف والبحث عن التاريخ" خلال اليوم الدراسي الذي نظمه مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية.

كان رده حول مسألة تعريب كلمة (Archive) ردا كافيا لفتح الطريق وتشجيع ما تم اقتراحه في هذه الدراسة ولم يعارض هو الآخر محاولة تعريب كلمة (Archive) وما تم اقتراحه في المقابل باللغة العربية "الأرشييفة" مطابقة مع جمع كلمة "الوثائق" ومفرداها "الوثيقة" مشددا على

ضرورة استشارة ذوي الاختصاص من اللغويين اللذين لم نجد لديهم اهتماما بالموضوع ليبقى باب الاجتهاد مفتوحا.

خاتمة البحث:

تطرح المصطلحات الأرشيفية باللغة العربية إلى حد الساعة مشكلة تعريبها وأن المحاولات التي ترمي إلى ذلك لا تخلو أن تكون محاولات فردية واجتهادات الأرشيفيين العرب المنشغلين بهذا المجال مثل ما سعت إليه هذه المحاولة في هذه الورقة البحثية. من المؤكد أن المصطلحات الأرشيفية المتداولة جاءت باللغة الأجنبية وأن مجهودات إيجاد مقابل لها باللغة العربية تبقى حسب رؤية أرشيفي كل بلد وحسب ما يصدر من نصوص قانونية، تشريعية وتنظيمية التي تؤثر على تداول المصطلحات كما ترد في تلك النصوص. في هذا المجال وببقى هذا الجانب يفتقر إلى جهود جماعية ضمن مجموعات لغوية أو جمعيات مهنية أو حتى ضمن أعمال الجامعة العربية التي تبذل مجهودات في مجال التعريب والترجمة التي ستكمل من دون شك بإصدار مرجع عام وموحد للمصطلحات الأرشيفية في العالم العربي يمكن اعتماده بصفة علمية ورسمية.

لبلوغ هذا الهدف، على الأرشيفيين في البلاد العربية تقديم اقتراحات ترمي إلى استصدار قاموس أو قائمة بالمصطلحات الأرشيفية عبارة عن مكنز يمكن استخدامه من طرف مهني ومحترفي الأرشيف وحتى الباحثين في هذا المجال أي علم الأرشيف بصفة عامة؛ من ضمن هذه الاقتراحات تنظيم لقاءات عبارة عن ملتقيات أو ورشات تتناول المصطلح الأرشيفي وكيفية ترجمته أو تعريبه ومن ثم العمل ضمن مجموعات ولجان متخصصة داخل المجموعات اللغوية المنتشرة هنا وهناك.

يبقى مجال البحث والاجتهاد مفتوحا من طرف المهتمين خاصة مع ظهور مصطلحات أرشيفية جديدة باللغة الإنجليزية والفرنسية قد تزيد من حدة الهوة عند الأرشيفيين العرب قد تكون سببا لأزمة اصطلاحية بالبلدان العربية.

إحالات

(1) وجدت في هذا على ما بدا لي تطابقا في المفهوم والمعنى مع كلمة "أرشيف" إذ تعني في نفس الوقت الوثائق والمكان الذي تحفظ فيه الوثائق مما يستدعي منا البحث أكثر في المقابل باللغة العربية لكلمة الأرشيف.

(2) لعل أول كتاب من هذا النوع هو كتاب بلدسار بونيفاسيو (Baldassare Bonifacio) المسمى (De Archivis Liber Singularis, Venise, 1632) وكتاب (Pierre Camille Le Moine) المعنون

ب: (Diplomatique pratique ou traité de l'arrangement des archives , Metz, 1765) وغير ذلك من الأمثلة. أنظر في هذا الصدد:

Jean Favier (Dir.), La pratique archivistique française, Paris: Archives Nationales, 1993, 63

(3) الثورة الأرشفية هو عنوان مقال بارز لأحد الأخصائيين في الأرشفة. في هذا الصدد، انظر:

Michel Duchet, La révolution archivistique: le défi des archives modernes à l'archiviste, In : La Gazette des archives, N° 80 (1973), pp. 11-25

(4) في هذا الصدد أنظر ما تناولته:

فتيحة قوميد، إدارة الوثائق الجارية في المؤسسات الأكاديمية: دراسة لجامعة وهران، أطروحة دكتوراه، وهران، قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية، 2016، 310 ص.

(5) تطرح كلمة (archive) مشكلة ترجمة هذا المصطلح إلى اللغة العربية حيث تم اقتراح كلمة (الأرشفة) للتعبير عن ذلك.

(6) أكاديمية اللغة الفرنسية (Académie Française) من أقدم الهيئات في فرنسا، تم تأسيسها سنة 1635 في عهد الملك لويس الثالث عشر من قبل الكاردينال ريشيليو. مهمتها الحفاظ على اللغة الفرنسية وتطويرها.

(7) «Jamais sinon dans cet ouvrage Foucault n'aura exposé aussi clairement et aussi complètement ce qu'il aura désigné du nom d'Archive. Nul ne s'y étant essayé avant lui, il est donc le premier» (Scuderi, 2009)

Christophe Scuderi, Un nouveau concept d'archive ? Foucault avec Derrida, In : groupe d'études «la philosophie au sens large», 04/02/2009, Lille, CNRS .

(8) هناك من يرى بأن للكلمة جذورا عربية قديمة كما يراه سالم الألوسي إذ يقول: "[...] بل كانت قناعتنا وما تزال بأن للـ(أرشفة) جذورا عربية قديمة تمتد وتلتقي بأخواتها اللغات العربية القديمة -التي اصطلح عليها علماء الاستشراق باللغات السامية- مثل: الأكادية والبابلية والآشورية والبابلية الحديثة (الكلدانية) والآرامية والسريانية وغيرها، بل إن هناك من الأسباب والشواهد تدعونا إلى القول: (لا نرى في استعمال كلمة الأرشفة في لغتنا العربية أي ضير أو حرج، فهذه بضاعتنا رُدت إلينا) [...] " انظر المقال المرجع:

سالم عبود الألوسي، الأرشفة عربيا: بحث في التأصيل اللغوي، في: الحكمة، عدد 29 (2002)، ص.ص. 148-161

(9) لم نقف على كتابات وأبحاث لغوية أخرى لكلمة الأرشفة غير ما جاء به سالم عبود الألوسي وكل من تناول الكلمة بالعربية إنما أعاد ما اجتهد فيه؛ أنظر في هذا الصدد: سالم، عبود الألوسي، الأرشفة: تاريخه، أصنافه، إدارته، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1979، 108 ص

(10) للاطلاع على الدراستين يرجى زيارة موقع المجلس الدولي للأرشيف:

<https://www.ica.org/fr/etude-de-l-ica-ndeg11-principes-directeurs-pour-la-prevention-et-le-controle-des-sinistres>

<https://www.ica.org/fr/etude-de-l-ica-ndeg16-les-archives-electroniques-manuel-a-l-usage-des-archivistes>

(11) للإشارة هذا العمل ظهر في 1982 أي قبل الصيغة العربية لقاموس المجلس الدولي للأرشيف الذي ظهر في 1990.

(12) قام هذا المكتب بإصدار العديد من المعاجم الموحدة لمصطلحات علوم شتى كعلم الوراثة، علم الصيدلة، وغيرها من المعاجم.

(13) للمزيد من المعلومات حول أهداف وإنجازات المركز يرجى زيارة الموقع التالي:

http://www.acatap.org/index.php?option=com_content&view=article&id=49&Itemid=54

(14) أنظر: المقياس الدولي لوصف مؤسسات الأرشيف "ISDIAH" [على الشبكة] متوفر على الرابط التالي:

<https://earchiving.wordpress.com/2009/03> زيارة الموقع يوم: 2022/03/10

(15) تابعت ماري آن شابان مختلف استعمالات كلمة الأرشيف والمجالات التي وردت بها. أنظر في هذا الصدد:

Analyse comparée de l'emploi du mot « archives » dans les médias français

(16) سنتعرض بتقديم فقط من أجابوا عن التساؤل ونبين مدى إسهامهم في الرد على مشكلة تعريب كلمة "Archive"

(17) شغل عبد الكريم بجاجة منصب المدير العام للأرشيف الوطني الجزائري من 1992 إلى غاية 2001 وقد قضى حياته المهنية عاملا في الأرشيف ابتداء من 1974 حيث كان مكلفا بالأبحاث في الأرشيف الوطني الجزائري إلى غاية 2001، شغل خلالها منصب مدير مركز الأرشيف لولاية قسنطينة ما بين 1974 إلى 1991 فمديرا للمكتبة الوطنية لفترة وجيزة من 1991 إلى 1992. تقلد عدة مناصب بالهيئات الدولية إذ عمل مستشارا لدى مجموعة العمل لحماية الأرشيف في حالة الكوارث والحروب (1996-2000) فعضوا باللجنة التنفيذية والمكتب التنفيذي للمجلس الدولي للأرشيف (2000-2001). في فبراير 2003 تم تعيينه كعضو مراسل في لجنة الأرشيف الإلكتروني للمجلس الدولي للأرشيف. في 2004 كُلف بتحضير مشروع "دليل السياسات الأرشيفية" أثناء المؤتمر الدولي للأرشيف بفيينا وفي 2007 عُين عضوا في إدارة التحرير لمجلة (Comma) لسان حال المجلس الدولي للأرشيف. في مجال الترجمة قام عبد الكريم بجاجة بترجمة الدراسة رقم 11 بعنوان "حماية الأرشيف من الكوارث" وكذلك الدراسة رقم 16 للمجلس الدولي للأرشيف المتمثلة في "دليل

الأرشيف الإلكتروني". كما أنه نشر إجابته عن السؤال الذي تم طرحه عليه حول تعريب كلمة (Archive) على موقعه الخاص.

كل المعلومات المتعلقة بالسيرة الذاتية للأستاذ عبد الكريم بجاجة مستقاة من موقعه على الأنترنت، انظر:

Abdelkrim Badjadja, Cirta for consulting and administrative studies (archives) [en ligne], (mise à jour le 23/03/2017). Disponible sur: <http://badjadja99.e-monsite.com/pages/traductions-en-arabe.html>

(18) التحق صوفي فؤاد بالأرشيف الوطني سنة 1974 وعُيّن على رأس أرشيف ولاية وهران إلى غاية 2004 ليصبح بعدها نائب مدير مكلف بالمقاييس على مستوى المديرية العامة للأرشيف الوطني، في 2005 أصبح مفتشا للتراث. شارك مع الأستاذ عبد الكريم بجاجة في المفاوضات الجزائرية الفرنسية حول الأرشيف في 1980 و1981. رغم إحالته على التقاعد يساهم صوفي فؤاد في تكوين الأرشيفيين بجامعة الجزائر وهران، كما أن له نشاط علمي زاخر بالبحث والتنقيب في مسائل تهتم الأرشيف بالدرجة الأولى والتاريخ وقضايا التراث إذ أنه منخرط كباحث مشارك بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (Crasc) منذ 1992.

المصادر والمراجع

- أبو الحسن الماوردي. (1989). *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*. الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة.
- البنوري ربيع. (1995). *معجم المصطلحات الأرشيفية: أنجليزي-عربي*. تونس: الفرع الاقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف.
- الميساوي خليفة. (2013). *المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم*. الرباط: دار الأمان.
- بن عاشور صليحة. (2005). دور أجهزة الدولة في الرقابة على الأموال العمومية في التراث والتاريخ الاسلامي. تأليف جامعة ورقلة (المحرر)، *الأداء المتميز للمنظمات والحكومات*، (الصفحات 319-324). ورقلة. تم الاسترداد من

<https://manifest.univ-ouargla.dz/archives/facult%C3%A9-des-sciences-economiques,-des-sciences-commerciales-et-des-sciences-de-gestion-fsescsg/202-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%>

- بوحراث سفيان. (2010). *مناقشة حول مصطلح السجلات*. تاريخ الاسترداد 03 10 2022، من

<http://earchiving.wordpress.com/2010/01>

- سالم عبود الألوسي. (1979). *الأرشيف: تاريخه، أصفاه، إدارته*. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- سالم عبود الألوسي. (2002). *الأرشيف عربيا: بحث في التأصيل اللغوي*. الحكمة (29)، 148-161.
- علي ميلاد سلوى. (1982). *قاموس مصطلحات الوثائق والأرشيف: عربي فرنسي-إنجليزي*. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.
- غسان منير سنو. (1990). *قاموس المصطلحات الأرشيفية: إنجليزي-فرنسي-عربي Dictionary for archival terminology*. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- فالن بيدر. (1990). *معجم المصطلحات الأرشيفية: إنجليزي-فرنسي-عربي*. (غسان منير سنو، المترجمون) بيروت: الدار العربية للعلوم.
- قوميدي فتيحة. (2011). *مصطلح الأرشيف في بعض معاجم المصطلحات الأرشيفية العربية*. *المصطلحات الأرشيفية في الجزائر*. وهران: مخبر بحث حول أنظمة المعلومات والأرشيف في الجزائر.
- قوميدي فتيحة. (2016). *إدارة الوثائق الجارية في المؤسسات الأكاديمية: دراسة لجامعة وهران*. (جامعة وهران، المحرر) وهران: قسم علم المكتبات.
- ناصر محمد السويديان. (1992). *تعريب مصطلحات المكتبات والمعلومات وتوحيدها*. الرياض: مكتبة الملك فهد.
- Aymes, Marc. (2004). *L'archive dans ses oeuvres (Rancière, Derrida)*. *Labyrinthe*. Récupéré sur <http://labyrinthe.revues.org/175>
- Couture, Carol, Ducharme Daniel, & Rousseau, Jean-Yves. (1998). *L'archivistique a-t-elle trouvé son identité*. *Argus*, 17(02), pp. 51-60.
- Delmas, Bruno. (2006). *La société sans mémoire: propos dissidents sur la politique des archives en france*. Paris: Bourin éditeur.
- Duchein, Michel. (1973). *La révolution archivistique: le défi des archives modernes à l'archiviste*. *La gazette des archives*(80), pp. 11-25.
- Duchein, Michel. (1993). *Archives, archivistes, archivistique*. Dans F. Jean, *La pratique archivistique française* (pp. 11-39). Paris: Archives Nationales.
- Favier, Jean. (1993). *La Pratique archivistique française*. Paris: Archives nationales.

- Hildsheimer, Françoise. (1997). *Les archives de france: mémoire de l'histoire*. Paris: Honoré champion.
- Hottin, Christian. (2007). *Plaidoyer pour la recherche en archivistique. Histoire et sociétés*(21). Récupéré sur <https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00078121/document>
- Ketelaar, Eric. (2006). *Dé construire l'archive. Matériaux pour l'histoire de notre temps*, 2(82), 65-70. Récupéré sur <https://www.cairn.info/revue-materiaux-pour-l-histoire-de-notre-temps-2006-2-page-65.htm> Consulté le 06/05/2022
- Klein, Anne. (2014). *Archive(s): Approche dialectique et exploitation artistique*. Montréal: Ebsi.
- Le Blanc, Geneviève. (2010). *Sur la difficulté de traduire le terme "records management"*. Consulté le 07 10, 2020, sur genevieve.le-blanc.org/blog?p=1340.
- Marcilloux, Patrice. (2013). *Les égo-archives: traces documentaires et recherche de soi*. Rennes: Presses Universitaires de Rennes.
- Scuderi, Christophe. (2009). Un nouveau concept d'archive? Foucault avec Derrida. Dans CNRS (Éd.), *Philosophie au sens large*. Lille: CNRS.
- Sellal, Achour. (2007). *Les glissements sémantiques dans la terminologie archivistique*. *Revue de l'information scientifique et technique*, 1, pp. 35-46.
- Soufi, Fouad. (2001). *L'archive et la quête d'histoire*. Dans A. Faouzi, *La socio-anthropologie ou comment repenser la méthode?* (p. 144). Oran: CRASC.
- Soufi, Fouad. (2002). *En algérie: l'état et ses archives*. (U. d'alger, Éd.) Alger: Département de bibliothéconomie.

-